الانجيلي بيلي غراهام صانع التلاحم بين المؤسستين السياسية والدينية في أمريكا (1 من 2)

اسطورة ليست نتاجا لكاريزما شخصية ولكن بسبب الآلة الاعلامية واستعداد التدين الغربي لتحويل الدين إلى وثن

فرانكلين غراهام: ما أطلق عليه عملية «الحرية للعراق» هي فرصة للمسيح ولمد يد العون للعراقيين وتنصيرهم

د. عزالدين عناية*

اطلالة على واقع

الواقع السوسيو ديني الأمريكي فيه من الثراء والتداخل، ما يتفلت حصره وفهمه عن امكانيات المقاربات التقليدية، ذلك أن مقولة العَلمانية حمالة ذات وجوه، يتغير مدلولها ومحتواها من مجتمع لآخر ومن تقليد سياسي لغيره. ولذلك لزم على الدارس العربي الخروج من ضيق الثنائية المعهودة لديه، التي تربط بين الغرب والعلمانية وتقصي الدين بعيداً عن معترك الاجتماع البشري. فالساحة الأمريكية من الساحات التي تعج بعديد أنواع اللوبيات المتشابكة، ذات الطابع السياسي الديني، والتي تصنف اجمالا تحت مسمى شامل «اليمين المسيحي»، أو ما يعرف أحيانا بالـ«نيوكون»، مختصر المحافظين الجدد. وتنعت النواة الدينية في ذلك بالـ«تيوكون»، المستمدة من تيوكونسرفتوري، مختصر «اللاهوتيون المحافظون»، وهم من يستدعون الأدوات الدينية والجهاز المعرفي الديني، سواء لتحليل الأوضاع الاجتماعية، أو لتبرير ترسيخ قيَم الآباء في المجال العمومي. والأسماء الأساسية في التيوكون، هم كاثوليك، من أتباع كنيسة روما بالأساس، نجد منهم ريتشارد جون نيوهاوس، وهو رجل ديني كاثوليكي ولاهوتي بارع مسموع الصوت في الأوساط الأمريكية؛ ميكائيل نوفاك، أحد أبرز علماء اللاهوت الكاثوليك الأمريكان شهرة؛ جورج ويغل، وهو لاهوتي وخبير سياسي ومؤلف السيرة المرجعية «شاهد الأمل» عن البابا الراحل، يوحنا بولس الثاني، تدعمهم مجموعة من الباحثين يحفرون في نفس الخندق.

يدعي التيوكون تراجعا بينا في العقود الثلاثة الأخيرة للقيم الخلقية العامة بين الأمريكان، وقد فسروا الأمر بقوة ضغط العلمانية وزحف العلمنة. والملاحظ في توجه التيوكون، أنه لا تغلب عليه الخاصيات المسيحية الصرفة، بل يحمل في مكونه طرفا قويا يمثله اليهود الأمريكان، لذلك هناك الحاح في الداخل بينهم على وحدة القيم والتراث اليهودي المسيحي. وان يكن الاطار المسيحي الأكثر عددا، فان المكون اليهودي، يبقى الأعمق نفاذا وتوجيها للسير العام، لذلك نجد داخل تيار التيوكون الحاحا على الدين مع عدم تحديد هويته.

وعموما كتلة النيوكون هي توجه متنوع، تجمعه خاصيات فكرية مشتركة، ذات طابع اقتصادي وسياسي وأخلاقي، سعى أنصاره لترجمتها ضمن أجندة سياسية. وقد تجلت احدى أوجه فلسفتهم في السياسة الخارجية لبوش، بعيد أحداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر). ولكن رؤى المحافظين الجدد، قبل تلك الأحداث، كانت متركزة بالأساس على الشأن الداخلي الأمريكي. والملاحظ في هذا التوجه أنه متسع، بشكل لا يمكن ضبطه في حزب، أو دعوة، أو حركة، بل نجده غالبا ما سعى لدمج رؤاه ضمن برامج الحزب الجمهوري لأجل خلق سلطة جديدة حاكمة.

سوء التفاهم مع العالم الاسلامي بسبب تصلب الفكر الكنسي

في أعين الكتلة الدينية، تأتي الحروب التي خاضتها أمريكا في الساحة الاسلامية أخيرا حروبا مقدسة، باسم القيَم اليهودية المسيحية. فمنذ الأزمة البترولية ومرورا بأحداث 1993 وأحداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) صار كل ما هو عربي، في أعين جانب كبير من الرأي العام الأمريكي تهديدا حقيقيا للديمقراطية المسيحية. وفي الوقت الذي «شيطن» فيه بعض القادة العرب الولايات المتحدة، «أبلس» فيه الرأي العام الأمريكي الثقافة العربسلامية. لذلك الهم المشترك اليوم بين أنصار هذه الكتلة متمثل في نداء العالم اليهودي المسيحي للتوحد ضد العالم الاسلامي.

لقد تخمر العداء للعالمين العربي والاسلامي في أوساط الرأي العام الأمريكي على مدى عقود سابقة، ووجد تفجراته خلال الفترة الأخيرة. والعداوة للاسلام تجد تجذرا خصوصا لدى ممثلي اليمين المسيحي، على خلاف غيره من الأجنحة الأخرى، على حد توصيف مختار بن بركة، أستاذ الحضارة الأمريكية في جامعة فالنسيان، في كتابه المنشور بدار «بريفا» بفرنسا سنة 2006، «اليمين المسيحي الأمريكي ـ الانجيليون في البيت الأبيض؟» ص: 171.

وفي خضم تلك النقمة على العالم الاسلامي، تعددت أساليب اليمين المسيحي للهيمنة على المسلمين ومنها محاولة تمسيحهم وتحويلهم عن دينهم. ففي الإنترنت عشرات المواقع للتجمعات الانجيلية تدفع بأنصارها للتوجه نحو أرض الاسلام، غاية العمل على بناء الكنائس السرية والعلنية، وتشجيع ذوي النفوس الضعيفة والغايات النفعية لضمهم اليهم وجذبهم. كما نجد مؤسسات علمية مهتمة بالشأن، فمثلا «جامعة كولومبيا» بكارولينا الجنوبية، تكون المبشرين وتمول التربصات لغرض اكساب المتدربين تقنيات الفهم والاقناع عند التعامل مع الثقافة الاسلامية. وفي الوقت الحالي نجد مبشرين معمدانيين يرافقون الوحدات الأمريكية في العراق بتعلة تقديم المساعدات الانسانية، ولكن بهدف خلق حقول انزراع للبعثات الانجيلية التبشيرية.

فعلى اثر دخول أمريكا العراق حل فرانكلين غراهام، ابن المبشر التلفزي المشهور بيلي غراهام بالبلد، مدعيا تقديم المعونة المادية والروحية للعراقيين باشراف منظمته The Samaritan Purse، فكان توزيع بعض الألبسة والأدوية والمأكولات مصحوبة بالكتاب المقدس، على أمل تحويل العراقيين المسلمين الى المسيحية. وقبل سفره، صرح فرانكلين غراهام: «ان ما أطلق عليه بعملية (الحرية للعراق) هي فرصة للمسيح. نذهب الى هناك لنمد يد العون للعراقيين لانقاذهم من الدين الزائف والشيطاني ـ أي الاسلام ـ فكمسيحي، أتحرك باسم المسيح». نقلا عن مختار بن بركة ص: 175 ـ 176.

وينحدر الجيل الأول من المحافظين الجدد من الطبقات الدنيا والوسطى للمدن الأمريكية، من عائلات عمالية عاشت في عمق أزمة الحرب العالمية الثانية، ومن جيل الشبيبة المثقفة ذات الميولات اليسارية. كما يتميزون بولائهم للآباء المؤسسين، الذي يعدون بمثابة «السياح» ـ بالمعنى الصوفي ـ الباحثين عن مجال يعبرون فيه عن أنماط تدينهم بشكل حر. كما شهد تكتل المحافظين منذ نشأته انضمام عديد العناصر ذات الأصول والثقافة اليهودية.

تلك التحدرات الاجتماعية جعلت من طموحات المحافظين الجدد وتطلعاتهم مواجهة الحيف، الى جانب انتقادهم النظام التعليمي بدعوى جعله أكثر جدوى.

كان هذا التيار في وقت مضى ينعت باليسار اليسارية، ولكن في الراهن الحالي يعد من اليمين الأصيل. فضمن سياساتهم الداخلية تتفسر أسباب شعبية المحافظين الجدد وسمعتهم الجيدة في الداخل والسيئة في الخارج، على حد تعليل فلافيو فيليشي، صاحب كتاب «النيوكون والتيوكون: دور الدين في الحياة العامة الأمريكية» ص: 30.

وبفعل تجذر المحافظين الجدد، صاروا في العقود الأخير الأكثر نفاذا والأبلغ أثرا في تحريك مسائل الجدل السياسي، الأمر الذي أهلهم لخلق الخيارات السياسية. ولكن فكر المحافظين الجدد المتلخص في مثلث: «الهيمنة الأمريكية على العالم» و«تصدير الديمقراطية» و«رؤية العالم من منظور واحد»، أوصل أمريكا الى الفشل. وربما هذا ما حدا ببعض المنظرين السياسيين الأمريكان المعروفين، فرانسيس فوكوياما، الى نشر مقال في مجلة نيويورك تايمز، بتاريخ 19 شباط (فبراير) 2006، يدعو فيه الى «ما بعد المحافظين الجدد»، بعد تبين ضعف تلك التنظيرات السياسية وصعوبة تحقيقها على أرض الواقع.

المحافظون الجدد ونخبة ثقافية عالية

وعموما يستند المحافظون الجدد على جبهة فكرية تتكون من نخبة مثقفة ثقافة عالية، ونافذة ومؤثرة بشكل فاعل في المجتمع الأمريكي، تتشكل من: المؤرخة جلترود هيميلفارب، معروفة بمؤلفها عن اللورد آكتون؛ جايمس ك. ويلسون، يعتبر من بين أبرز المختصين في علم الاجرام في أمريكا، كما شغل سابقا مهمة رئيس جمعية العلوم السياسية الأمريكية؛ نورمان بودهوراتز، مؤسسة مجلة «كومنتاري»، ومختصة في الثقافة العبرية، أثرت كتاباتها بقوة على الحوار الداخلي الدائر بشأن مقاومة الشيوعية؛ ليون كاس، أستاذ في جامعة شيكاغو، هو طبيب وخبير في الكتاب المقدس؛ جوزيف ابستاين، ناقد أدبي معروف؛ هيلتون كرامر، من أبرز نقاد الفن الأمريكان؛ بيتر برغر، أستاذ علم اجتماع في جامعة بوسطن ورئيس «معهد الثقافة الاقتصادية»؛ روبارت بورك، من أبرز القانونيين الأمريكان؛ جورج غيلدر، مدير مجلة «فوربس أساب» عن التقنية العالية، كما يشتغل لدى معهد ديسكوفري بسيتل؛ جين كيرباتريك، أستاذة العلوم السياسية بجامعة جورجتاون بواشنطن د.ك، ومحللة سياسية في معهد الأعمال الأمريكي، كما مثلت الولايات المتحدة في الأمم المتحدة من 1981 الى 1984؛ دانيال باتريك موينيهام، عضو مجلس الشيوخ في ولاية نيويورك؛ طوماس سوال، عالم اقتصاد في معهد هوفر بستانفورد؛ روث يس، أستاذة الأدب اليديشي والأدب المقارن بجامعة هارفارد، كما تدير معهد الدراسات اليهودية؛ ارفين كريستول، يعتبر المؤسس لحركة المحافظين الجدد، وهو من أبرز المحللين السياسيين، كان مدير مجلة «ذي بابليك أنتريست»، كما درس في هوربان فاليو في جامعة نيويورك.

يتباهى التيار الانجيلي بقدرته على تشييد وملء «الكنائس الكبرى» التي تتسع لعشرة آلاف مشارك أحيانا، والتي تحوي أنشطة ترفيهية وتثقيفية مختلفة في الآن نفسه، فقوة هذه الكنائس في اقترابها من مشاغل الأفراد الأساسية.

أما على مستوى خارجي، فقد يتساءل الفرد عن دوافع تحالف اليمين المسيحي مع اليهود ومع الدولة العبرية، والواقع أن الأمر له مبرر لاهوتي، فهناك اعتقاد رائج بين المسيحيين أن انبعاث دولة اسرائيل دليل واضح على عودة المسيح، يأتي ذلك نتاج قراءة نبوءاتية للكتاب المقدس تبدو فيها اسرائيل محطة على طريق العصر الألفي المزمع، حيث لا عودة للمسيح قبل عودة اليهود الى أرضهم، فكما يقول الكاتب الاسرائيلي الأمريكي غرشوم غورينبارغ في كتابه: «نهاية الأزمنة: الأصولية والصراع على جبل الهيكل» المنشور بنيويورك سنة 2000، ص: 39، ان العقيدة الانجيلية في الخلاص هي حالة من خمس مراحل يندثر اليهود في أخراها. ولذلك قرئت الانتصارات الاسرائيلية دائما دنوا من نهاية الأزمنة وقربا من عصر ظهور المسيح، ويشيع بينهم رفض قيام دولة فلسطينية، كما يتطلعون الى تهجير كل سكان المنطقة، ولو كانوا سكان قطاع غزة، الى العالم العربي. ولكن زعزعة لتلك الأوهام أثناء حرب لبنان الأخيرة مع اسرائيل، طرحت مراجعة لدى متوهمي عودة المسيح (ع) باقتراب العصر الألفي.

وفكرة العودة الى فلسطين، كمقدمة الى الظهور الثاني للمسيح، دفعت عديد المسيرين الانجيليين، مثل بيلي غراهام، وابنه فرانكلين، وجري فالوال، ورالف ريد، وبات روبرتسون، الى المشاركة في التحريض على ارسال الانجيليين الى فلسطين. كما ساهمت في حث عديد اللوبيات الانجيلية مثل:

بالقدس، International Christian Embassy وكذلك: Christians for Israel على تمويل مشاريع الهجرة الى اسرائيل وبناء المستوطنات. وبالنتيجة حل عدد هام من الانجيليين باسرائيل لتعلم اللغة العبرية، وسعوا في بناء برامج تعاون مشتركة يهودية مسيحية. ويقدر اليوم عدد المسيحيين الانجيليين الذين يقيمون بفلسطين بشكل شبه دائم بخمسة وعشرين ألفا.

من المعبد الى السوق الدينية

تعَد عملية صنع الرموز بمختلف أصنافها، الفنية والسياسية والمعرفية وغيرها، بدعة مستحدثة، يهدف توظيفها في المجال الاجتماعي الى ابلاغ رسالة ايديولوجية مكثفة الدلالة، غرضها احكام القبضة على أذواق وعقول الجماهير عبر سلطة معنوية رمزية. والعملية تطورت بالأساس مع تركز النفوذ الرأسمالي في المجتمعات الغربية، وسعي أربابه للم شمل العالم وشده تحت شبكة نفوذهم. ولم يسلم، حتى القطاع الديني، من فبركة تلك الرموز ـ الأساطير للتحكم بمقدرات الحقل الروحي. والحال أنه قطاع مقدر أن يبقى أنأى ما يكون عن المساحيق والدعاية والمناورة، لما ترسب في الضمير الجمعي من علو مقصده وتنزه مكوناته، المتشكلة من الصدق والتقوى والايثار والتبتل والطهر، عن التوظيف الخسيس.

لكن الغرب بعد ثورته النفعية في العصر الحديث، أعاد صياغة ثرواته الروحية المتراكمة لديه، ضمن متطلبات التسويق المستجدة، ساحبا منها علويتها، لتتحول المسيحية المغربنة، ومختلف تفرعاتها المذهبية والنحلية، الى ما يشبه مخازن الأسواق العامة، التي تعج بالمناسك والطقوس والعقائد وأدواتها ولوازمها، معروضة عبر تقنيات التسويق المتطورة ومحتكمة لقوانين العرض والطلب المرتبطة بالاستهلاك، على اعتبار:

أ ـ أن الأسواق الدينية تحوي مجموع المبادلات لشتى المكافآت الماورائية، من وعود جزاء مستقبلي، وتفسيرات وتأويلات لأحداث الحياة.

ب ـ أن العلاقات الاجتماعية مصادر الاعتماد الأساسية للاستعلام عن البضائع الدينية، بما تساهم فيه من طمأنة للمستهلكين على قيمتها.

ج ـ أن المنظمات الدينية هي شركات معهود لها انتاج القيم الدينية، في حين التجمعات هي «وكالات»، مسيرة من طرف أعراف، «رجال دين»، يخلقون المعنى للزبائن.

د ـ تخصص الشركات بأنشطة معينة تقدمها وبنوعية منتوجات توفرها.

اصطناع الرموز الدينية

في تاريخ الغرب المعاصر، يشكل بيلي غراهام، الى جانب البابا الراحل يوحنا بولس الثاني، والأم تيريزا والدلاي لاما، خيرة الأيقونات الدينية التي عرضها الغرب بكثافة وسعى في ترويجها بشكل واسع، لأجل عولمة خطابه الديني، بعد يقينه من انتهاء مرحلة القطْرَنة والاستهلاك المحلي. فان عبر بيلي غراهام عن خطاب أمريكا الديني، فان مؤسسة البابوية، ممثلة في حبرها الأعظم في روما، لا زالت خطاب أوروبا العتيقة الديني، وتأتي الأم تيريزا، الألبانية الأصل، سعيا لتصفية حساب قديم مع الاسلام التركي المتوغل في خاصرة أوروبا، وأما الدلاي لاما فهو تطوير أوروأمريكي مشترك لمواجهة الصين وفلكها، من داخلها بعقائدها وأدواتها.

ترعى التجمعات الانجيلية الأمريكية اليوم بين 30 و40 % من سكان أمريكا، هذا على مستوى الداخل. من جانب آخر، يعد التيار الانجيلي، الى جانب الاحياء الاسلامي، أقوى الخيارات الدينية العالمية حركية وانتشارا في العالم. وان يبقى تنامي الاسلام بقوة عقدية مفهومية، لا جراء عوامل تحديث ديمقراطي في الساحة الاجتماعية، أو توظيف متطور لوسائل الاتصال والاعلام، فان التيار الانجيلي يبقى أكثر التوجهات الدينية قدرة على توظيف تقنيات الاتصال واللوبيات والمؤسسات والخبرات في انتشاره.

سيكون تركيزنا في هذه الدراسة على احدى تلك الأيقونات المذكورة سلفا، التليفانْجيليستْ بيلي غراهام لعظيم شأنه، ولنتلمس من خلاله كيفية السيطرة على مواقع النفوذ السياسي، اذ عد الرجل حارس القيم الروحية الأمريكية ومنظرا وداعية (American way of life) الدينية، حتى أدخل بنثيون الأيقونات الأمريكية المعاصرة، على نمط الفيس بريسلي ومارلين مونرو. فقد ألهب غراهام أكثر من غيره الحماس الديني في الفضاء العمومي الأمريكي، على مدى فترة طويلة، امتدت من 1945 الى الراهن الحالي. عرف عن قرب كافة رؤساء أمريكا طيلة تلك الفترة، من هاري ترومان الى جورج بوش الابن. كان بعضهم من أصدقائه المقربين، مثل دوايت ايزنهاور، وريتشارد نيكسون، وليندون ب. جونسون، اذ تردد على بعضهم في فترات محددة من رئاستهم، أثناء توليهم مهامهم الرئاسية بالقيام بالصلوات الافتتاحية، كما الشأن مع نيكسون أو بيل كلينتون، والتقى مع بعض منهم بانتظام.

وأمام هذه السطوة للرجل اعتبر الناشط الفاعل وراء «ثقافة الحرب» المستعرة في أوساط الطبقة السياسية الأمريكية الحاكمة اليوم. والدكتور بيلي غراهام، كما ينعته أتباعه، أو الداعية التلفزي، أو الانجيلي التلفزي، أو المبشر التلفزي، كما عرف في وسائل الاعلام، أو التليفانجيليست كما عرف بلسان أهله، شخصية دينية، عرفت منشأها و«صناعتها» وتطوراتها في المجال الأمريكي، داخل مؤسسة دينية باحثة عن النفوذ، شهدت بأنشطتها على عمق تشابك المؤسستين الكنسية بالسلطوية في أمريكا، في سوق دينية تتميز بالتزاحم الحاد وبالعروض المختلفة، داخل واقع اجتماعي يصل فيه تعداد النحل الدينية الى ما يناهز الألف.

اختير الرجل 44 مرة من بين عشر شخصيات أكثر تأثيرا في الولايات المتحدة الأمريكية، ضمن عمليات رصد يعدها سنويا معهد غالوب. هو من مواليد كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة سنة 1918، وينتمي الى المنطقة المسماة بحزام الكتاب المقدس. نشأ في عائلة منتمية للتقليد المشْيخي ثم تحول لاحقا للنحلة المعمدانية. كان انتماؤه أثناء الصبا الى المشيخيين، وقد حفظ حينها عن ظهر قلب، الكاتكيزم المشيخي. درَس في المعهد الكتابي الأصولي بوب جونس في كارولينا الجنوبية سنة 1936، ثم في تامبا، في المعهد الكتابي بفلوريدا، حتى سنة 1940، وكوليج ويتون، وبنفس المدينة جرى تعميده بتغطيسه في مياه بحيرة في فلوريدا. وهو متزوج وله خمسة أبناء: جيجي وآن وبوني وفرانكلين وناد.

يؤمن غراهام ايمانا راسخا بما يدعو له، فقد عاش لرسالته، وتجلى حماسه الديني في مسلكه. كان ينام قليلا ـ أحيانا أقل من ست ساعات ـ، ويقرأ ما يقارب الخمس ساعات يوميا، مع حرص على البدء بورد من خمسة مزامير واصحاح من الأمثال، كل صبيحة. يستحوذ الهوس الديني على شخصه، فقد لازمه اعتقاد راسخ منذ مطلع شبابه أن مهمته التبشيرية ناتجة عن نداء الهي قاده الى ذلك الالتزام النبوي. ووهْم النداء الالهي احدى أعراض الشخصية العصابية في علم النفس الديني، والتي يحدث على اثرها التحام مهووس بالرسالة دون أدنى تفكر أو تدبر أو تشكك.

فالعصابي الديني يستبد به اليقين بخضوعه لقوة روحية تتجاوزه، تسيره، ليس سوى مترجم لها. وقد رويت وقائع شتى في الشأن، رصدتها الاناسة الدينية، لعل أشهر تلك الروايات ما قصه شاول الطرسوسي، المعروف ببولس الرسول في التراث المسيحي، عن نفسه، والتي يشير فيها تلميحا في رسالته الى مؤمني غلاطية الى ما هزه في طريق دمشق، بقوله: «سر الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم» (1: 15).

فاستعداد غراهام العفوي للتبشير برسالته الدينية عضده استيعاب سياسي متواصل، وبرغم تبدل الادارات السياسية الأمريكية، حافظ الرجل على صلات قوية مع مؤسسة الحكم. بدأ ذلك التلاحم مع التوجه الرأسمالي مبكرا لديه، في وقت صارت فيه الشيوعية تمثل، بالنسبة الى الغرب وبالأساس للولايات المتحدة، التهديد الأكبر. ضمن هذا السياق الميز شق الانجيلي غراهام طريقه. سنة 1949، والتي بدأ خلالها يحقق شهرة على المستوى الوطني، تميزت بتفجير الاتحاد السوفييتي أولى قنابله النووية. فكان مناخ الحرب الباردة وصعود المخاوف من المعسكر الاشتراكي من العوامل التي صاغ غراهام ضمنها أطروحاته. كان عداؤه شرسا للشيوعية، يقول في احدى تصريحاته، المذكورة في دراسة لمارشال فرادي، منشورة في بوسطن سنة 1979: «اما أن تموت الشيوعية أو أن تموت المسيحية، فالآن هناك معركة بين المسيح والمسيح الدجال». وقد تعمقت مراقبة التيار الأصولي للأوضاع، الى قمع من لهم ميولات يسارية داخل الكنائس البروتستانية الليبرالية، ممن كانوا ينعتون حينها بـ«الحمر».

يحاول غراهام جاهدا العمل على تحوير المجتمع والدولة وجعلهما يسيران على هدى تعاليم الكتاب المقدس. في أثناء ذلك المسعى صار غراهام أداة من أدوات النظام الرأسمالي في أمريكا، يتجاوز توظيفه التبدل الحزبي أو الرئاسي. ولبلوغ هدفه المنشود سعى بكل الوسائل للتقرب من مواقع القرار، متعللا بالتخوف من الشيوعية. فـ«نجم ـ النظام هو بالأساس افراز لعملية انتاج»، كما يقول ادغار موران في كتابه: «النجوم»، المنشور بدار ساي بباريس سنة: 1972، ص: 99. والصورة الرائعة التي تمتع بها بيلي غراهام، لا يمكن أن تكون الا نتاج عمل مكثف، من وراء ستار، لعديد العاملين والمتعاونين، مختلفي التخصصات والمهام، اشتغلوا طيلة نصف قرن لصنع «أسطورة غراهام»، فليس الرجل الظاهرة نتاج «ون مان شو» (One Man show) كما يعرض غالبا، أو كما يعلل بتمتعه بشخصية كاريزمية فذة. وهو ما نعتبره تفسيرا باطنيا ينزع نحو تعليل خاصيات الشخصية بأساليب مفارقة تصب في اللامعقول. والحال أن الهالة التي أحيطت به نتاج ضخ الآلة الدعائية الغربية، وليست نتاج قدرات يمتلكها الشخص. فالادارة السياسية الأمريكية حينها، كانت في أمس الحاجة لاصطناع رموز، وتوسيع أفقها الى المجال العالمي، فكان استمرار ترسانة الكاريزما، التي حددها ماكس فيبر بشأن الشخصية الكاريزمية، وتوظيفها لفائدة المشروع الرأسمالي الغربي، لعب في ذلك الاستعمال المكثف لوسائل الاتصال أو لما عرف بالكنيسة الالكترونية دورا هاما في نشر دعوته. ففي التدين الغربي هناك تهيؤ لتحويل الدين الى وثن، واستعداد لاضفاء صنمية على بعض الشخصيات. لعل اقامة متحف لبيلي غراهام في أمريكا، والتغافل عن اقامة انجاز يدور حول فكرة دينية فيه من عمق الدلالة على تعامل الغرب مع الدين.

فالقرن العشرون، يصعب أن تضاهي فيه شخصية دينية، بلغت ما بلغه الراحل الامام الخميني من كاريزمية، لتضافر مناقب عدة في شخصه: علمية وسياسية وربانية وثورية.

فرانكلين غراهام يساعد والده بيلي

يتحدث امام مؤيديه في نيويورك 2005/6/26

* استاذ من تونس بجامعة لاسابينسا بروما